

كَيْفَ نُوَاجِهُ الْعَوَاصِفَ

(Arabic – How to face the storms)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: كَيْفَ نُوَاجِهُ الْعَوَاصِفَ

وَمِنْ الْمَزْمُورِ السَّابِعِ بَعْدَ الْمِائَةِ نَقْرَأُ الْعَدِيدِينَ الثَّامِنَ وَالْعِشْرِينَ وَالتَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ:

" فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضَيْقِهِمْ. وَمِنْ شِدَائِدِهِمْ يُخْلِصُهُمْ. يُهْدِي الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ. وَتَسْكُتُ أَمْوَاجُهَا".^١

إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ مَنَعَ حُدُوثِ الْعَوَاصِفِ وَلَا إِيقَافَهَا إِذَا حَدَثَتْ. وَلَكِنْ فِي اسْتَطَاعَتِنَا تَفَادِي عَوَاقِبِهَا الْمُدْمِرَةِ. وَالخُرُوجِ مِنْ قَلْبِ الْعَاصِفَةِ بِدَرْسٍ نَتَعَلَّمُهُ وَبِمَهَارَةٍ جَدِيدَةٍ تَعِينُنَا عَلَى التَّغْلِبِ عَلَيْهَا. وَبِالتَّالِيِ يُمَكِّنُنَا مُسَاعَدَةُ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ بِمَا اخْتَبَرْنَاهُ مِنْ نَجَاحٍ أَوْ فِشَلٍ. وَالْعَوَاصِفُ هِيَ مِنَ الظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَلَكِنْ ذَلِكَ النَّوْعُ مِنْ عَوَاصِفِ الطَّبِيعَةِ لَا يَشْمَلُهُ حَدِيثُنَا. فَعُلَمَاءُ الطَّبِيعَةِ أَقْدَرُ وَأَكْفَأُ. وَلَكِنْ حَدِيثُنَا يَشْمَلُ تِلْكَ الْعَوَاصِفَ الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي تُؤْدِي أَرْوَاحَنَا وَنَفُوسَنَا وَأَجْسَادَنَا. وَهَذِهِ مَا نَعَالِجُ فِي حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَلَى ضَوْءِ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَيُوجِدُ حَقِيقَةَ هَامَّةٍ قَدْ تَغَيَّبَ عَنْ أَذْهَانِنَا أَحْيَانًا أَوْ نَتَغَافَلُ عَنْهَا. وَأَحْيَانًا أُخْرَى نَتَنَاسَاهَا. وَهِيَ أَنْ اللَّهَ مَصْدَرُ كُلِّ خَيْرٍ وَلَيْسَ مَصْدَرًا لِأَيِّ شَرٍّ.^٢

فَدَى يَسْمَحُ اللَّهُ بِاجْتِيَاذِ طَرِيقِ الْأَلَمِ وَلَكِنْ لِيُخَيِّرَنَا. وَالإِنْسَانُ بِإِرَادَتِهِ وَبِخُضُوعِهِ لِشَهَوَاتِهِ وَمُغْرِبَاتِ الْعَالَمِ الشَّرِّيرِ. وَاتِّخَاذِهِ بِحِيلِ إِبْلِيسَ الْمُحْكَمَةِ. يُحَوِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى نِقْمَةٍ وَشَرٍّ. إِذْ يُوجِدُ خَطَّ بِفِصْلِ بَيْنَ النِّعْمَةِ وَالنِّقْمَةِ. قَدْ يَتَجَاوَزُهُ الإِنْسَانُ بِمَعْصِيَتِهِ لَوْصَايَا اللَّهِ. فَيُؤَاجِهُهُ اضْطِرَابًا لِرُوحِهِ وَمَرَارَةً لِنَفْسِهِ وَأَلَامًا لِجَسَدِهِ. وَلَكِنْ إِلَهِنَا كَلِيٌّ الرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ. يَسْتَجِيبُ لِكُلِّ صَارِخٍ مُسْتَعِيثٍ. وَصَاحِبِ الْمَزْمُورِ السَّابِعِ بَعْدَ الْمِائَةِ يُؤَكِّدُ لَنَا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: " فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضَيْقِهِمْ. وَمِنْ شِدَائِدِهِمْ يُخْلِصُهُمْ. يُهْدِي الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ. وَتَسْكُتُ أَمْوَاجُهَا" وَبِالتَّمَلُّ فِي ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ نَكْتَشِفُ أُمُورًا ثَلَاثَةً تَعِينُنَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الْعَوَاصِفِ. وَنَكْتَشِفُ كَيْفِيَّةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا.^٣

أَوَّلًا: الإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ وَضَرُورَتُهُ.. فَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ اللَّهَ خَلَقَ فِينَا الإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ كإِنذَارٍ يُنذِرُنَا بِحُدُوثِ أَوْ تَوَقُّعِ حُدُوثِ شَيْءٍ ضَارٍّ يُؤْدِينَا. لِئِن سَارَعَ بِتَفَادِي حُدُوثِهِ أَوْ مُعَالَجَتِهِ. لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ فِي أَجْسَادِنَا وَفِي نَفُوسِنَا وَفِي أَرْوَاحِنَا ذَلِكَ الإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ وَقَرْنَا لَنَا سَبَابَ الْعِلَاجِ وَطَرُقَ الْوَقَايَةِ. فَلَقَدْ خَلَقَ دَاخِلِنَا جِهَازَ الْمَنَاعَةِ وَكَأَنَّهُ جَيْشٌ مُسَلَّحٌ مُدْرَبٌ وَعَلَى أَهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلدِّفَاعِ. وَخَلَقَ فِي الطَّبِيعَةِ أَيْضًا مَوَادًا وَنَبَاتَاتٍ لِلْوَقَايَةِ وَالْعِلَاجِ. وَخَيْرُ عِلَاجٍ نَجِدُهُ فِي الْكَلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ. إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ نَفْسَهُ خَيْرٌ وَقَايَةٌ وَخَيْرُ عِلَاجٍ لِلنَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ. وَبِذُنِ الإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ لَنْ نَجِدَ مَا يَدْفَعُنَا إِلَى اسْتِشَارَةِ الْأَطْبَاءِ. وَلَا الصَّرَاحِ إِلَى الرَّبِّ.^٤

إِنَّ فَقْدَ الإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ لَهُ خُطُورَتُهُ. وَتَضْرِبُ لِذَلِكَ مِثْلَيْنِ: كَثِيرُونَ فَقَدُوا حَيَاتِهِمْ وَهُمْ يَسْتَدْفِنُونَ عَلَى نَارِ الْفَحْمِ الْمُتَّقِدِّ فِي أَمَاكِنَ مُغْلَقَةٍ. مَاتُوا مِنَ الْغَازِ السَّامِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْ إِشْعَالِ الْفَحْمِ. إِذْ فَقَدُوا وَعْيَهُمْ وَإِحْسَاسَهُمْ بِالْأَلَمِ وَمَا أَمَكْنَهُمْ إِذْرَاكَ ذَلِكَ. وَكَثِيرُونَ مِنْ مَرَضَى الْجَذَامِ فَقَدُوا أَطْرَافَهُمْ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لِلْخَطَرِ لِأَنَّهُمْ فَقَدُوا الإِحْسَاسَ بِالْأَلَمِ. لِأَنَّ مِنْ أَعْرَاضِ مَرَضِ الْجَذَامِ فَقْدَ الإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ. وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُنذِرُهُمْ بِذَلِكَ الْخَطَرِ الَّذِي يَتَعَرَّضُونَ لَهُ كَمَا أَنَّهُمْ لِلْأَسْفِ لَمْ يَجِدُوا عِنَايَةَ خَاصَّةً. إِنَّ الْأَطْبَاءَ كَمَا نَعْلَمُ يَسْتَخْدِمُونَ الْمُخَدَّرَ فِي عَمَلِيَّاتِهِمْ الْجِرَاحِيَّةِ لِإِفَادَةِ مَرْضَاهُمْ. وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُسِيءُ اسْتِخْدَامَ الْمُخَدَّرِ وَيُفْرَطُ فِي اسْتِخْدَامِهِ هُرُوبًا مِنَ الإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ. وَهُرُوبًا مِنْ مُوَاجَهَةِ مَشَاكِلِهِمْ. وَهُمْ بِذَلِكَ يَتَخَطُونَ الْخَطَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ النِّعْمَةِ وَالنِّقْمَةِ. فَيُؤَاجِهُونَ مَا هُوَ أخطرُ مِنْ مَشَاكِلِهِمْ.^٥

^١ سفر المزمير ١٠٧: ٢٨-٢٩ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة يعقوب ١: ١٣

^٣ سفر المزمير ٤: ١

^٤ سفر الخروج ٢: ٢٣

^٥ سفر الأمثال ٧: ٢٦

ثانياً: الأساس الصحيح للبناء وضرورته.. إنَّ البشير متى في إنجيله الأصحاح السابع يُسجل ما قاله الربُّ يسوع عن الأساس الصحيح للبناء حتى لا يتعرض لأخطار العواصف. إذ قال: "فكلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا. أَشْبَهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَذَلَّ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ وَهَبَتِ الرِّيَّاحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ. لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا. يُشْبَهُهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَذَلَّ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ وَهَبَتِ الرِّيَّاحُ وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ وَكَانَ سَقُوطُهُ عَظِيمًا". مِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ نَتَّخِذَ بَيُوتًا لِنَحْتَمِيَ فِيهَا وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رَمَالِ الْعَالَمِ الْفَانِي. كَثِيرُونَ كَانَ سَعْبُهُمْ وَرَاءَ الْمَالِ أَوْ السَّلْطَةِ وَالجَاهِ أَوْ التَّمَنُّعِ بِالشَّهَوَاتِ الشَّبَابِيَّةِ. فَلَمَّا زَوَى شَبَابُهُمْ وَفَنِيَتْ قُوَّتُهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَا يَسْتَدِينُونَ عَلَيْهِ بَعْدَ ضِيَاعِ الْكُلِّ. لَقَدْ قَالَ الْحَكِيمُ سُلَيْمَانُ بِسُفْرِ الْجَامِعَةِ: "افْرَحْ أَيُّهَا الشَّابُّ فِي حَدَائِكَ. وَلَيْسْرُكَ قَلْبُكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ. وَاسْلُكْ فِي طَرُقِ قَلْبِكَ وَبِمَرَأَى عَيْنَيْكَ. وَأَعْلَمْ أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ كَلَّمَا يَأْتِي بِكَ اللَّهُ إِلَى الدَّيْنُونَةِ".^١

ثالثاً: الصُّرَاخُ إِلَى اللَّهِ فِي الضِّيقِ وَضُرُورَتُهُ.. مَاذَا نَفْعُ إِذَا كَانَتْ الْعَوَاصِفُ فَوْقَ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ؟ الْإِجَابَةُ: هِيَ أَنْ نَلْجَأَ إِلَى مَوَاعِيدِ اللَّهِ. وَلَكِنْ أَيْنَ هِيَ مَوَاعِيدُ اللَّهِ؟ الْإِجَابَةُ: فِي كِتَابِ اللَّهِ. إِنَّهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لَيْسَ قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. وَلَيْسَ بَعْدَهُ كِتَابُ اللَّهِ. أَقْرَأِ الْآنَ. سَتَجِدُ فِيهِ خَلاصَ نَفْسِكَ وَسَلَامَهَا الدَّائِمَ. وَضَمَانَهَا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. ارْجِعْ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ. اعْرِفْهَا. احْفَظْهَا. اسْتِنِدْ عَلَى الْمَوَاعِيدِ الثَّمِينَةِ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي ضَيْقِهِ مَلَاذٌ وَعُودُ الرَّبِّ لَهُ. مِثْلَ وَعْدِ الرَّبِّ الْمَذْكُورِ بِالْمَزْمُورِ الْخَمْسِينَ لِأَسَافَ. إِذْ يَقُولُ: "ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ. أَنْقِذْكَ فَمَجِّدْنِي". وَلِمَنْ تَعْلَقُ بِالرَّبِّ يَجِدُ فِي الْمَزْمُورِ الْحَادِي وَالتَّسْعِينَ مَا يُشَجِّعُهُ. إِذْ يَقُولُ: "لَأَنَّهُ تَعْلَقُ بِي أَنْجِيهِ. أَرْفِعُهُ لِأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أَنْقِذْهُ وَأَمَجِّدْهُ. مِنْ طُولِ الْأَيَّامِ أَشْبَعُهُ وَأَرِيهِ خَلاصِي".^٢

إِنَّ الْعَوَاصِفَ حِينَ تَشْتَدُّ نَلْجَأُ لِلرَّبِّ. فَيَقْوَى إِيمَانُنَا لِأَنَّهُ يَسْمَعُ لَنَا وَيُقِدِّنَا. فَتَنْتَرَمُ أَسْتِنَا بِتَرَائِمِ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّمَجِيدِ لِاسْمِهِ. وَمَا يُشَجِّعُنَا عَلَى ذَلِكَ الْأَمثلة الْعَدِيدَةَ بِالْكِتَابِ لِمُؤْمِنِينَ لَجَّأُوا إِلَى الرَّبِّ فَأَنْقَذَهُمْ. كَالْفَتِيَّةِ الثَّلَاثِ الَّذِينَ طَرَحُوا فِي آتُونِ النَّارِ. وَدَانِيَالُ الَّذِي طَرَحَ فِي جُبِّ الْأَسُودِ. وَبَطْرُسُ الَّذِي كَانَ مُقَيِّدًا بِالسَّلَاسِلِ فِي السَّجْنِ وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِلْكَنِيسَةِ الَّتِي صَلَّتْ مِنْ أَجْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكَاً أَنْقَذَهُ. وَبُولْسُ فِي السَّقِينَةِ الَّتِي عَصَفَتْ بِهَا الرِّيَّاحُ وَالْأَمْوَاجُ. فإِذَا بِبُولْسَ يَقُولُ لِلرَّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: "لَا تَكُونْ خَسَارَةَ نَفْسٍ وَاحِدَةً مِنْكُمْ إِلَّا السَّقِينَةَ. لِأَنَّهُ وَقَفَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ مَلَكَ الْإِلَهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ. قَائِلاً: لَا تَخَفْ يَا بُولْسُ. يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ. وَهُوَ دَا قَدْ وَهَبَكَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ. لِذَلِكَ سُرُّوا أَيُّهَا الرَّجَالُ لِأَنِّي أُوْمِنُ بِاللَّهِ. أَنَّهُ يَكُونُ هَكَذَا كَمَا قِيلَ لِي".^٣

يُحَدِّثُنَا سِيفَرُ الْمُلُوكِ الثَّانِي عَنْ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُودَا. إِذْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَحَارِيْبَ مَلِكِ أَشُورَ رُسُلًا يَقُولُونَ لَهُ: لَا يَخْذَعُكَ الْهَيْكَلُ. الَّذِي أَنْتَ مُتَكَلِّفٌ عَلَيْهِ. قَائِلاً: لَا تَنْدَفِعْ أورشليمُ إِلَى مَلِكِ أَشُورَ. إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَا فَعَلَ مَلُوكُ أَشُورَ جَمِيعَ الْأَرَاضِي لِإِهْلَاكِهَا وَهَلْ تَنْجُو أَنْتِ؟ فَأَخَذَ حَزَقِيَّا الرِّسَالَةَ مِنْ أَيْدِي الرُّسُلِ وَقَرَأَهَا. ثُمَّ صَعِدَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. وَنَشَرَهَا حَزَقِيَّا أَمَامَ الرَّبِّ وَصَلَّى: افْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ وَانظُرْ وَاسْمَعْ كَلَامَ سَحَارِيْبَ. فَأَرْسَلَ إِسْعِيَاءُ النَّبِيُّ إِلَى حَزَقِيَّا الْمَلِكِ يُخْبِرُهُ أَنَّ صَلَاتَهُ سَمِعَتْ مِنْ جِهَةِ سَحَارِيْبَ مَلِكِ أَشُورَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لَا يَدْخُلُ مَلِكُ أَشُورَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ وَلَا يَرْمِي هُنَاكَ سَهْمًا. وَلَا يَنْتَقِمُ عَلَيْهَا بِتَرْسٍ وَلَا يُقِيمُ عَلَيْهَا مِتْرَسَةً. فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ يَرْجِعُ وَإِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ لَا يَدْخُلُ يَقُولُ الرَّبُّ. وَأَحَامِي عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِأَخْلَاصِهَا. مِنْ أَجْلِ نَفْسِي وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي.^٤

أَدْعُوكَ أَحَى لِتَرْفَعَ قَلْبَكَ مُشْتَرِكًا مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. نَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ مَوَاعِيدِكَ الصَّادِقَةِ الْأَمِينَةِ. يَا مَنْ تَحَامَى عَنَّا وَتَخَلَّصَنَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ وَمِنْ أَجْلِ الدَّمِ الطَّاهِرِ الْمَسْفُوكِ مِنْ أَجْلِنا عَلَى عُودِ الصَّلِيبِ. لِكَيْ لَا نَهْلِكَ بَلْ تَكُونُ لَنَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةَ. نَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْوَعْدِ الْمُطْمَئِنِّ. أَنْكَ تَسْتَمِعُ إِلَى الصَّارِخِينَ إِلَيْكَ فِي ضَيْقِهِمْ. وَمِنْ شِدَائِدِهِمْ تَخَلَّصَهُمْ. أَنْتَ الْإِلَهُ الْقَدِيرُ تَهْدِي الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ. وَتَسْكُنُ أَمْوَاجَهَا. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ. وَاتَّقَا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ سَيِّدِي. يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أحى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ٧: ٢٤ - ٢٧ ، سفر الجامعة ١١: ٩

^٢ سفر المزمير ١١٩: ١٠٥ & ١٥: ٥٠ & ٩١: ١٤ - ١٦

^٣ سفر دانيال ٣: ١ - ٣٠ & ٦: ١ - ٢٧ ، سفر أعمال الرسل ١٢: ١ - ١٧ & ٢٧: ٩ - ٤٤

^٤ سفر الملوك الثاني ١٩: ١٠ - ٣٧